الآداب
المجلد:24، العـدد:01، ديسمبر 2024
الصفحات: 211 – 226
ISSN 1111 – 4908 EISSN 2588 – 2228

القرائن في البلاغة العربية والاستلزام الحواري –مقاربة تداولية–

CLUES IN ARABIC RHETORIC AND CONVERSATIONAL IMPLICATURE – A PRAGMATIC APPROACH –

[1] ط.د. خديجة محفوظي
[2] أ.د. صالح خديش
[1] جامعة قسنطينة1-الإخوة منتوري – الجزائر، khadidjamahfoudi9@gmail.com
[2] جامعة عباس لغرور-خنشلة- الجزائر، salah.khadich@univ.khenchela.dz

تاريخ الإرسال: 2023/07/13 تاريخ القبول: 2024/06/29 تاريخ النشر: 2024/12/15

ملخص:

تسعى الدّراسة إلى الكشف عن ظاهرة الاستلزام الحواري في التراث البلاغي العربي من خلال القرائن المقالية والحالية والسّياق، تليها الآليات الإجرائيّة التي تساعد المخاطب في الانتقال من المعنى الحرفي للجمل إلى المعنى الضّمني الذي يشرف عليه قصد المتكلم، والظروف المحيطة بعناصر العملية التواصلية.

إنّ االدلالة المستلزمة لا يمكن الوصول إليها دون خرق لأحد شروط إجراء المعنى على أصله، أو بخرق إحدى قواعد الحوارية.

كلمات مفتاحية: *الاستلزام الحواري؛ القرائن؛ المعنى الضمني؛ السّياق؛ التّداولية.*

Abstract:

The study seeks to reveal the conversational implicature phenomenon in the Arabic rhetoric heritage through essay, descriptive and contextual clues, followed by the procedural mechanisms that help the addressee move from the literal meaning of sentences to the implicit meaning indicated by the speaker's intention, and the conditions surrounding the elements of the communicative process.

The required meaning cannot be attained without violating one of the conditions of meaning procedure on its origin, or by violating one of the conversational rules.

Key words: *conversational implicature; clues; implied meaning; context; pragmatics.*

المؤلف المراسل: خديجة محفوظي.

مقدمة:

تحاول هذه الدّراسة ربط البلاغة العربية باللّسانيات التّداوليّة؛ بهدف التّجديد في الدّرس البلاغيّ العربيّ، وذلك من خلال المقاربة بين ما طرحه البلاغيون وما طرحه التّداوليون. وعليه اخترنا موضوع القرينة ونظرية الاستلزام الحواري، للكشف عن الوعي بمفهوم الاستلزام الحواري في الفكر العربي القديم. وكيف تم التّعامل مع هذه الظاهرة في الدّرس البلاغي من خلال موضوع القرينة في مؤلفاتهم.

اقتصرت الدّراسة على ثلاثة عناصر: العنصر الأوّل يهتم بدراسة القرينة عند البلاغيين العرب بالتركيز على مفهومها وأنواعها ووظائفها. أمّا العنصر الثّاني سيعرض فيه كلّ ما يتعلق بنظرية الاستلزام الحواري في الدّرس التّداولي. وفي العنصر الثّالث سنقارب بين الإيجاز والإطناب والمساواة كموضوع في علم المعاني، وقاعدة الكم في إطار نظرية الاستلزام الحواري، ولتوضيح ذلك سنحلل بنية الملفوظات الحوارية في مسرحية "النائب المحترم "لـ"أحمد رضا حوحو".

تكمن أهمية الموضوع في كون الاستلزام الحواري ظاهرة لصيقة باللغة الطّبيعية، وتؤسس للتّواصل غير المعلن أو الضّمني على اعتبار أنّ المتكلم يقول كلاما ويقصد غيره، والمخاطب يسمع كلاما ويفهم غيره. وللحد من الالتباس في الفهم وضع "بول غرايس" (Paule Grice) ما يسمى بمبدأ التّعاون والقواعد المتفرعة عنه.

وقد انتبه علماء اللغة في الفكر البلاغي العربي إلى ظاهرة الاستلزام الحواري؛ ليس من حيث كونها مفهوما وإنّما باعتبارها إشكالا دلاليّا. اهتم الدّرس البلاغيّ بالقضايا المتعلقة بالمعنى كالسّياق والقرائن المقاليّة والإحاليّة، وكانت القرينة عندهم هي المسؤولة على إيضاح المعنى ورفع اللّبس عن التّراكيب.

1. مفهوم القرينة:

1.1 المفهوم اللغويّ:

يرجع مصطلح القرينة إلى مادة (قَرَنَ)؛ وقد وردت في "مقاييس اللغة" "لابن فارس" على أنّها: "أصلانِ صحيحان، أحدُهما يدلُّ على جَمعِ شيء إلى شيء، والآخَر شيءٌ يَنْتَأُ بقُوَّة وشِدَّة...والقَرِينة نَفْس الإنسان، كأنهما قد تقارَنَا...وقَرِينَةُ الرَّجُلِ: امرأتُهُ"[1].

حدّد "ابن منظور" أيضا المعنى اللّغويّ للقرينة فقال: "والقَرُون والقَرُونة والقَرِينَةَ والقَرِينُ: النَّفْسُ. ويُقَالُ: أَسْمَحَتْ قُرُونُه وقَرِينهُ وقَرُونَتُه وقَرِينَتُه، أي ذلَّتْ نَفْسُهُ وتَابعَتْه على الأَمرِ...، وقرينَةُ الرَّجُلِ: امرأَته. لمقارنته إيّاها،...، وأَخَذْتُ قُرونِي من الْأَمْرِ أي حَاجَتِي... والقَرائن: حِبالُ مَعْرُوفَةُ مُقْتَرِنَة"[2].

ويتّضح من المعنى اللغوي لمفهوم القرينة اتجاهها نحو: الجمع والشّد والمصاحبة والارتباط.

2.1 المفهوم الاصطلاحي:

لم يحدد البلاغيون المعنى الاصطلاحي للقرينة في المراحل الأولى من التّأليف البلاغي، رغم الإشارات والملاحظات المبثوثة في كتبهم، الّتي تؤكد على أنّه مصطلح واضح عندهم، فيقول"عبد القاهر الجرجاني": "ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض"[3]؛ فهو يشير إلى قوة ارتباط أو تعلّق الألفاظ بعضها ببعض، لإيصال مقاصد المتكلم إلى المخاطَب في سياق معين. وبعد هذه المرحلة وقف البلاغيون على جملة من التّعريفات للقرينة نذكر منها تعريف"الشّريف الجّرجاني" للقرينة على أنّها: "أمر يشير إلى المطلوب"[4]، وهو يعني به الدّليل، ثمّ اتّضح مصطلح القرينة، وصار لها معنى يختلف عن معنى الدّليل في كتب الاصطلاح، وإن كانت القرينة أحد الأدلة، غير أنّ لها ما يميّزها في المفهوم والاستعمال؛ أيّ أنّ القرينة دليل واضح على وجود تعاون بين المتكلم والمخاطَب على مستوى التّركيب، وهذا ما يوافق مبدأ التعاون عند "غرايس".

إنّ المتأمل في أنواع القرائن عند البلاغيين، يلاحظ تقسيمها عندهم إلى قرينتين أساسيتين هما: القرينة المقالية والقرينة الحالية.

تعدّ القرائن المقاليّة أكثر أنواع القرائن استعمالا في مؤلفات البلاغيين، اعتمدوا عليها في شرح نماذجهم. تؤخذ القرائن المقاليّة من السّياق اللّغويّ للعبارة المقصودة بالتّحليل، وتنقسم إلى قسمين: القرائن الدّالة بلفظها، والقرائن الدّالة بمعناها.

أمّا القرينة الحالية فهي تمثل السّياق. إذ أدرك الدّرس البلاغيّ أهميّة السّياق ودوره في توضيح المعنى. نلمس ذلك من خلال قول "السّكاكي": "لكل مقام مقال"[5]، يشمل المقام عندهم كل من المتكلم

والمخاطَب والظّروف المحيطة بهما. تتّضح أهميّة قرينة السّياق لكونها لصيقة بالعملية التّواصليّة الّتي تنشأ بين المتكلم والمخاطَب بتوجيه من السّياق الدّاخلي والخارجي للغة.

يشتمل الحال والمقام على جملة من القرائن تسمى بالقرائن الحاليّة وهي:

*أحوال المتكلمين.

*أحوال المخاطَبين.

*الظّروف المحيطة بالخطاب.

نستنتج مما سبق ذكره أنّ الوظيفة الأساسيّة للقرائن، هي إزالة الغموض والإبهام؛ أيّ إزالة إلتباس المعنى؛ حيث لايتسنى لها ذلك إلى بمعونة السّياق. وتوجد نظرية تقابل ذلك في الدّرس اللّساني التّداولي تسمى: الاستلزام الحواري.

2. نظرية الاستلزام الحواري:Theory Conversational Implicature:

تعدّ نظريّة "الاستلزام الحواري"لـ" غرايس"من أهم النّظريّات التّداوليّة؛ لأنّها تهتم بكيفية الاستعمال اللغويّ ،كما نجدها بعيدة عن الالتباس بالدّرس الدلالي[6]، فهي تؤكد أنّ التأّويل الدّلاليّ للملفوظات في اللغات الطّبيعيّة أمر متعذر إذا توقفنا عند حدود البنيّة الظّاهريّة للملفوظ. تبلور مفهوم الاستلزام الحواري مع "غرايس"في محاضراته التي ألقاها في جامعة "هارفاد" (Harvard) سنة1967 ونشرت سنة1975 في بحث له يحمل عنوان "المنطق والحوار" **(**Logic and conversation)، وفي محاضراته ركز على توضيح الإلتباس بين مايقال ومايقصد؛ أيّ أنّ المتخاطِبين في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس مايقولون، وبذلك توصل إلى ضرورة التفريق بين المعنى الصّريح والضّمني للجمل، فنشأت عنده فكرة الاستلزام الحواري[7].

أصبح مفهوم الاستلزام الحواري نواة مركزية في كثير من الدّراسات التدّاوليّة، وفحوّاه أنّه كل ملفوظ ينهض على بنية صريحة وأخرى مضمرة، ومن أهم التّعاريف الحديثة التي قُدمت بخصوص الاستلزام الحواري أنّه "المعنى التّابع للدّلالة الأصليّة للعبارة"[8]، فالاستلزام الحواري مرتبط بمعنى الملفوظ لابمعنى الجملة، ويعرف أيضا بأنّه "مايرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهر

لكلامه إلى معنى آخر"[9]، ففي التعريفين نجد تمييز بين القوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة، فالقوة الإنجازية الحرفية مرتبطة بالمعنى الدّلالي؛ أيّ المعنى المعجمي مضاف إليه العلاقات النحويّة، واصطلح على تسميته بالفعل اللغوي المباشر، والقوة الإنجازية المستلزمة مرتبطة بالمعنى التّداولي؛ لأنّ تأويل الملفوظات يعتمد على أساسين: معنى الجملة المتلفظ بها من جهة، وسياق التّلفظ من جهة أخرى، وإلى هذين الأساسين أضاف غرايس ما سماه مبدأ التّعاون[10].

أمّا عن مبدأ التّعاون؛ فهو المبدأ التّداولي الأوّل للتّحاور لأنّ المتحاورين في حواراتهم قد يقولون مايقصدون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، ولإيجاد حل لهذا الإشكال اقترح "غرايس"مبدأ التّعاون بين المتحاورين، ويفرض عليهم احترامه لتحصيل المطلوب؛ أيّ تحقيق الهدف من الحوار.

شكل مبدأ التعاون عند "غرايس" العمود الفقري للعملية التّلفظية، إذ إنّه يُمكِّن المتخَاطِبين من ضمان عدم انقطاع التّواصل، ذلك فإنّ كلّ طرف من الخطاب يعترف لنفسه وللآخر بالحق في التناوب على الكلام[11]، فمبدأ التّعاون هو الأساس الّذي يقوم عليه الحوار، إذ هناك اتّفاق ضمنيّ بين المتخاطِبين يحثهم على التّعاون ويضمن لهم عدم انقطاع التّواصل باحترام التناوب على الكلام، ولذلك يصاغ مبدأ التّعاون على النّحو الآتي "ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الّذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أوالإتّجاه الّذي يجري فيه ذلك الحوار"[12]. يقصد به ذلك المبدأ الّذي يعتمد عليه المتكلم لإيصال مقاصده إلى المخاطَب.

وسع **"غرايس"** المبدأ الحواري العام الذي يحكم عملية التّخاطُب إلى أربعة قواعد هي:[13]

-قاعدة الكم:Maxim of quanlity:

تتصل بكمية المعلومات المطلوبة، وتتفرع إلى فرعين:

أ–لتكن إفادتك للمخاطَب على قدر حاجته.

ب–لا تجعل إفادتك تتجاوز الحد المطلوب.

مفاد هذه القاعدة بشقيها أن المساهم في الحوار لا يوجز إلى حد الإخلال ولا يطنب إلى حد الإطناب.

–قاعدة الكيف:Maxim of quanlity

وتتعلق بالصدق في المساهمة الحوارية،وتتفرع إلى فرعين:

أ–لا تقل ماتعتقد أنّه كاذب.

ب–لا تقل ما لا تستطيع إثبات صدقه.

–قاعدة الورود:Maxim of relevence

وتتعلق بالتقيد بموضوع الحوار؛ أيّ يجب ألّا يكون تدخل المساهمين في الحوار خارجا عن الموضوع المتّحاور فيه، مع وجوب تعلق الخبر بالمقام.

–قاعدة الكيفية:Maxim of manner

وتشمل جملة من الشروط لها طابع اجتماعي وأخلاقي وجمالي،أهمها:

أ– ليكن تدخلك واضحا.

ب– تجنب الغموض واللبس.

ج– ليكن تدخلك مركزا.

وعليه يجب على المتخاطبين احترام هذه القواعد والالتزام بها، وفي إطارها يلتزم المتكلم بمبدأ التعاون ويراعي ظروف المخاطَب، ويُسخر من أجل ذلك ما يُعين في التبليغ بالوسائل اللّغوية وغير لغوية كالإشارة والملامح.

كان هدف "غرايس"من وضع مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه هو "ضبط مسار الحوار بحيث يؤكد على أنّ احترام هذه القواعد، بالإضافة إلى المبدأ العام هو السبيل الكفيل بجعلنا نُبلِّغ مقاصدنا حيث يُفضي كلّ خروج عنها–أو عن إحداها– إلى اختلال العملية الحوارية، وفي هذه الحالة على المحاور أن ينقل كلام مخاطِبه من معناه الظاهر إلى المعنى الخفي الّذي يقتضيه المقام، وهو ما تناوله تحت مفهوم الاستلزام الحواري"[14]. لكن ليس من السّهل الانتقال من المعنى الظّاهر إلى المعنى الخفيّ، لوجود عوامل كثيرة (اجتماعيّة، نفسيّة، ثقافيّة،...) تتحكم في تحديد المعنى الخفيّ، وتوجِيه دلالته. ولا نستطيع ضبطها إلا بعد الوصول إلى المعنى المستلزم.

تَنتُج ظاهرة الاستلزام الحواري عن خرق إحدى القواعد الأربعة السابقة الذّكر، وذلك لعدم احترام مبدأ التّعاون أثناء عملية التّحاور من أحد طرفي الحوار (المتكلم/المخاطَب)؛ لأنّها في نظر "غرايس" قواعد "تأويل أكثر من كونّها قواعد معيار أو قواعد سلوك"[15]، غايتها ضبط الجانب التّبليغيّ للتّواصل.

1.4القرينة والاستلزام الحواري –مقاربة تداوليّة–:

أشارت التدّاوليّة إلى الدّلالة الحرفيّة في إطار الاستلزام الحواري، كان ذلك واضحا عند البلاغيين في حديثهم عن القرينة المقاليّة أو اللفظيّة ودورها في الانتقال من الدّلالة الحرفيّة للجمل إلى الدّلالة الضمنيّة،كما اهتم الدّرس البلاغيّ أيضا باللغة في الاستعمال في إطار الحال والمقام الّذي يتضمن الإهتمام بأحوال المتكلم وأحوال المخاطَب والظرّوف المحيطة بالكلام؛ لأنّ الإهتمام بالسّياق يساعد على تقليص الفجوة بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الّذي قصده المتكلم، إذ لا تكتفي بعض مقامات الخطاب بالمعنى الحرفي وتتجاوزه إلى المعنى الضّمني أو الاستلزامي الّذي يُستدل عليه من السّياق وقرائنه.

تُظهر مقاربة القرائن بالاستلزام الحواري الجانب النظري، وتتضّح المقاربة أكثر في جانبها التطبيقي عند تحليل مسرحية "النّائب المحترم" لـ"أحمد رضا حوحو". إذ اكتفينا في هذا المقام بابراز قاعدة الكم.

الايجاز والإطناب/قاعدة الكم:

وُجد في التّراث البلاغي القديم مايتعلق بقاعدة الكم، وهو مبحث الايجاز والاطناب والمساواة. يعرفهما "السّكاكي" بقوله: "فالايجاز: هو أداء المقصود من االكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط. والإطناب: هو أداؤه بأكثر من عباراتهم، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل"[16]. الملاحظ عند حصر طرق التّعبير هو الحرص على مسألة المعنى والفائدة "لا إخلال بالمعنى ولا كلام بلا فائدة"[17]. كما يختار المتكلم للتّعبير عمّ في نفسه طريقا من ثلاثة طرق ، فهو تارة يوجز، وتارة يطنب، وتارة يأتي بعبارة فيها مساواة على حسب ما يقتضيه حال المخاطَب والمقام التّواصليّ.

الايجاز:هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح وينقسم إلى قسمين إيجاز قصر، وإيجاز حذف، والإطناب: زيادة اللفظ على معنى لفائدة [18]، ولتوضيح ذلك سنحلل بنيّة الملفوظات الحواريّة المسرحيّة الآتية:

***بنية الملفوظ الحواري الأوّل(المؤلف/المتلقي):**

استعمل المؤلف المسرحي"أحمد رضا حوحو" الملفوظ الأوّل بقوله: "لاينجح في الحياة إلا الرّجل الشّريف"[19]؛ حيث عرضه على الخشبة بكتابته على اللّوح وعلّقه على حائط القسم. أراد المؤلف أن يتواصل مع المخاطَب بملفوظ مشحون بالمعاني الضّمنيّة. يتجسد فيها الهدف من المسرحية، ولهذا استعمل أسلوب القصر بالنفي والاستثناء لتأكيد الخبر؛ لأن "الأصل في النفي والاستثناء أن يجيء لأمر ينكره المخاطَب، أو يشك فيه، أو لما هو مُنزلٌ هذه المنزلة"[20]. والمتفحص لملفوظ (لاينجح في الحياة إلا الرّجل الشريف) يدرك أنّ غرض المتكلم لم يكن إفادة الخبر، ولا لازم الفائدة، لأن الخبر معلوم عند المخاطَب، ما جعل الملفوظ يخرج عن مقتضى الظاهر واستلزم معنى ضمنيا، هو التّوجيه والنّصح والارشاد.

يبدو أنّ تكرار المتكلم للملفوظ السّابق، هو تكرار مقصود أدى إلى معان مستلزمة في الحوار المسرحي، نذكر منها زيادة التنبيه؛ نتج عن تكرار الملفوظ في البنيات الحوارية أداء لرسالة دلالية قامت بدور مهم في حركة وتطور أحداث المسرحية. هدفَ المؤلف إلى لفت انتباه المخاطَب بتكرير الملفوظ لغرض النّصح والارشاد. (لاينجح الانسان في الحياة إلا إذا كان شريفا). واصل المؤلف توضيح قصده في الملفوظات المختارة الآتية:

***بنية الملفوظ الحواري الثّاني:(زعرور/عرفي)**

كشفت بنية الملفوظ الحواريّ عن حوار بين طرفين مقربين هما: (زعرور وعرفي)، يدرسان في المدرسة الحرة، لكن (عرفي)أكثر خبرة من (زعرور)، يريد هذا الأخير أن يتحصل على وسام المعارف في وقت قصير؛ لأنّه يظّن أنّ ذلك حقّا من حقوقه، كما يوضّح ذلك الحوار الآتي:

"زعرور: يعني نلته دون أن أناله، هو عندي في المعنى وليس عندي في الواقع.

عرفي: يا عزيزي زعرور، أعلم أنّ الأوسمة لم تخلق لأمثالنا، بل لها رجالها.. أردت أن أنصحك يوم قدمت طلبك، لأقول لك لا تتعب نفسك لأنّك لن تنال شيئا...فأنا كما ترى، أقدم منك بثماني سنوات في هذه المهنة، ومع ذلك لم أطلب شيئا.

زعرور: هذا حقّ من حقوقنا، والّذي يطلب حقّه يضيع.

عرفي: لكن لا تنسى أنّ الّذي يتحصل على الشيء قبل وقته، يفقد ضميره وشرفه.

زعرور:(غاضبا) إذن، أنت تشك في ضميري وشرفي؟

عرفي: أنا لا أشك في ضميرك لأنك لم تتحصل على شيء.

زعرور: الحق معك...سامحني...حقا، إنّي لم أتحصل على شيء."[21]

وظف المتكلم (عرفي) أسلوب النفي لتأكيد الخبر في هذا الملفوظ بطريقة مكثفة ومتتابعة ومتنوعة. ضُمِّن الملفوظ العديد من المؤكدات، رغم أنّ المخاطَب (زعرور) لم يكن مترددا أوشاكا فيما ذكره المتكلم، وبذلك يكون الخبر خارجا عن مقتضى الظّاهر لاستلزام حواري يريده المتكلم وهو تقديم النّصيحة. القرينة اللفظية الدّالة على ذلك قوله (أنصحك) و(لكن لا تنسى أنّ الّذي يتحصل على الشيء قبل وقته يفقد ضميره)؛ لأنّ (زعرور) شخص طيب ومخلص في عمله ويتميّز بأخلاق نبيلة، فخاف (عرفي) أن يضيّعها، فأراد تنبيهه بأنّه في بيئة اجتماعية لا تأبه كثيرا بالأخلاق.

*** بنية الملفوظ الحواري الثّالث: (عبد المنعم/ زعرور/سيزان)**

أراد (عبد المنعم) أن يقنع (زعرور) بالعمل معه في بيع سيارات مستعملة للبلدية بعد إصلاحها وطلائها، ثم بيعها على أساس أنّها جديدة. فدار بينهما الحوار الآتي الّذي شاركتهما فيه (سيزان) شريكة (عبد المنعم).

"عبد المنعم: أراك قلقا ياسي زعرور؟ هل وجدت المبلغ قليلا؟ سأزيدك.

زعرور: ياسيدي أنا وإن كنت قضيت عمري في التعليم بين التلاميذ والكتب، لكني أعرف أن الناس لا يقدمون مبلغا كهذا لشخص من أجل عمل لا يحسنه ولا يستطيع القيام به.

سيزان: كيف؟ لقد أفهمناك الآن.

زعرور: لقد تبين لي ياسيدتي أني لم أفهم كل شيء، وعلى كل حال أشكركم من صميم قلبي، وأتأسف أني لا أستطيع قبول ذلك"[22].

ركزنا في بنية هذا الملفوظ على أسلوب النفي الذي استعمله (زعرور) في قوله: (لا يقدمون، لا يحسنه ولا يستطيع، لم أفهم)، غرض أسلوب النفي وتكراره، هو تأكيد الخبر بالنّفي. بمأنّ المخاطَب له علم بالخبر ، فقد تم خرق لشرط الفائدة ولازم الفائدة. ذلك يستلزم أنّ (زعرور) يريد بالملفوظ توبيخ (عبد

المنعم/النائب المحترم) وشريكته (سيزان)؛ لأنّ طبيعة العمل المذكور سابقا فيه غش واحتيال وتزوير، وهذا لايتناسب مع أخلاق(زعرور).

***بنية الملفوظ الحواري الرّابع:(زعرور/التلميذ)**

يعدّ الحوار الّذي دار بين المعلم (زعرور) والتّلاميذ من أبرز الحوارات، الّتي تشير إلى معان ضمنية باستعمال أسلوب الحذف. الحذف كما ذكره الجرجاني "فإنّك ترى به ترك الذّكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن ..وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبره"[23]. استعمل المعلم الحذف في الحوار الآتي:

"زعرور: درسُنا اليوم في الأخلاق..قلت ذلك اليوم، إنّه لاينج.. الانسان في الحياة إلا إذا كان..كان..أنت(يشير إلى تلميذ) كان آش؟

التلمذ: إذا كان..كان..لا أدري يا أستاذ..

زعرور: وأنت أجب إذا كان شا..شا؟

التلميذ: إذا كان شريرا..

زعرور: أعوذ بالله، كيف، إذا كان شريرا؟ لا لا، حيا ، أنت ياشاطر..

الولد: شيطانا.

زعرور: لا لا، كان شا..شر..شريفا..

التلاميذ: (يكررون العبارة) شريفا.

زعرور: أحسنت، لاينجح الإنسان في الحياة إلا إذا كان شريفا.

التلاميذ: (يكررون)"[24].

إنّ المتأمل لهذا الملفوظ الحواري يجد خرقا واضحا لمبدأ الكم. يؤكد (زعرور) للتلامذته أنّ درسهم اليوم عن الأخلاق؛ لكن عندما طلب منهم إكمال العبارة بالكلمة المناسبة (إنّه لاينج.. الانسان في الحياة إلا إذا كان...كان) فأجابه التلميذ الأوّل (لا أدري يا أستاذ). أدرك (زعرور) أنّ السّؤال صعب، فسهل الأمر على التلميذ الثّاني وساعده بإعطائه الحرف الأوّل من الكلمة (شا..شا) فأجابه (إذا كان

شريرا)، استعاذ زعرور بالله من إجابته. ولما يئس المعلم من التلاميذ قدم هو الاجابة(شا شر...شريفا)، ثم قام التلاميذ يكررون لفظة (شريفا) وعبارة (لاينجح الانسان في الحياة إلا إذا كان شريفا).

وظَّف المتكلم (زعرور) الايجاز بالحذف، حذف كلمة شريفا أو مقطعا منها، وهو حذف مقصود، لوجود تفاوت في المقام الاجتماعي والثقافي بين المتكلم الّذي يملك خبرة في الحياة والمخَاطَبين (التلاميذ) الّذين ما زالوا في مرحلة التّعلم والاكتساب، والظاهر هو تقديم المعلم عبارة ناقصة لإكمالها. لكن خرق المعلم لمبدأ الكم أفضى إلى جملة من المعاني الضمنية للعبارة أشار إليها التلاميذ في إجاباتهم. نذكرها على التوالي:

- لاينجح الانسان في الحياة إذا كان لايعلم ولا يدري.
- لاينجح الانسان في الحياة إذا كان شريرا.
- لاينجح الانسان في الحياة إذا كان شيطانا.

استلزمت كل هذه الاجابات الاجابة (لاينجح الانسان في الحياة إلا إذا كان شريفا)، وكررها التلاميذ وقصد المتكلم بذلك هو تقوية المعنى وترسيخه في ذهن المخاطَب، ثم توجيه إلى أهميّة تحلي الانسان بالأخلاق الحميدة في حياته.

***بنية الملفوظ الحواري الخامس:(زعرور/عرفي/غنام)**

دار حوار طويل بين(زعرور)و(عرفي)و(غنام)؛ حيث قدّم كل طرف وجهة نظره في مسألة ذات أبعاد متعدّدة، ومتشابكة ظهر ذلك كالآتي:

"زعرور: وإذا كان غيره أصبح التلميذ بريئا وعوقب ظلما.

غنام: إذا كان بريئا وعوقب فخطأ شرعي يزيدني هيبة عند التلاميذ لأن الانسان الذي يريد السيطرة على التلاميذ أوغيرهم على السواء لا بد له من الظلم بين الفينة والفينة لا الظلم هو الذي يثبت أقدام الحكم.

زعرور: لكن هل فكرت في موقف هذا التلميذ المظلوم وحالته النفسية؟

غنام: فكرت ووجدت أن هذا يعطيه درسا ويعده للحياة، لأن الحياة كلها ظلم، فيجب أن يتمرن على ذلك من الآن.

عرفي: ألا ترى يا أستاذ أنّه من الأحسن أن يبحث الإنسان على الظالم الحقيقي ويعاقبه؟

غنام: الظالم يختاره الانسان ولايبحث عنه، ثم إنّ كل إنسان ودلالة وجهه، وهذه هي الحياة...نحن الثلاثة لو لم تكن وجوهنا تدل على البؤس لما كنا فيه.

تلميذ من الخارج

يا غنام يا وكال العظام، يا غنام يا وكال العظام.

غنام: أرأيتم الشياطين؟ انتظروا قليلا، واصلوا حديثكم، سأتمكن من القبض عليه.(يتجه إلى الباب، ثم يمسك التلميذ) يا لله إلى المدير أيّها لشيطان.

التلميذ: لست أنا ياأستاذ، أقسم لك، لست أنا...

غنام: قلت لك إلى المدير لتأديبك..أتهزأ بي هل وجدت العظام حتى آكلها..

(يخرج به)

عرفي: هذه النتيجة ..من يزرع الظلم يحصد الشر..

زعرور :نعم تلك هي النتيجة المحتومة"[25].

أقرّ الأستاذ (غنام) بممارسته الظلم على تلامذته، قائلا: "إذا كان بريئا وعوقب فخطأ شرعي يزيدني هيبة عند التلاميذ؛ لأنّ الإنسان الّذي يريد السّيطرة على التلّاميذ أوغيرهم على السّواء لابد له من الظّلم بين الفينة والفينة لأنّ الظّلم هو الّذي يثبت أقدام الحكم"، وتمادى غنام في الظّلم بقوله:"الظلم يختاره الإنسان ولايبحث عنه"؛ لكن الرد كان سريعا من تلميذه في الخارج يقوم بإهانته بصوت مرتفع "ياغنام يا وكال العظام،ياغنام يا وكال العظام"، وفي الأخير نجد (عرفي) يلخص الموقف والمقال معا بالملفوظ"من يزرع الظّلم يحصد الشّر"، فقد ضمن (عرفي) العبارة القصيرة معاني قصيرة من غير حذف، فهذا الملفوظ فيه إيجاز قصر فكلمتي الظّلم والشّر تلخص علاقة الأستاذ غنام بتلاميذه؛ حيث إنّ المعنى الحرفي للملفوظ يشير إلى أنّ (غنام) ظلم تلاميذته، فسوف يلقى منهم كل أنواع الشّرور، أما المعنى المضمر نجده في استيعاب كلمتي الظّلم والشّر لجميع المواقف والشؤون المتعلقة بقضايا الإنسان وأخلاقه.

***بنية الملفوظ الحواري السّادس:(زعرور/ناجية)**

نجد شخصية (زعرور) من أبرز الشّخصيات الّتي تستعمل أسلوب الإطناب في حواراتها، خاصة إذا كان الحوار موجها إلى(ناجية)، والملفوظ الحواري الآتي يوضح ذلك:

"زعرور: (محاولا فتح الزجاجة) أعندك تصحيح دفاتر هذا الصباح؟
ناجية: نعم لكنني أكره التصحيح، وهذا أثقل الأعمال عندي.
زعرور:عجبا،كيف تستثقليه؟ أنا على عكسك مغرم به، ومن دون أن أشعر أجد نفسي وأنا أتجول في الشوارع أصلح الأخطاء المطبعية الموجودة في الإعلانات المثبتة فوق الجدران ، ولا يتعبني هذا العمل، لو أمكث منكبا عليه ليلا ونهارا (يناولها زجاجة الحبر) أمسكي، خذي لقد فتحتها، أتركيها عندك سأشتري غيرها "[26].

انتقل (زعرور) في كلامه من الحديث عن حبه لتصحيح الكراريس إلى الحديث عن حبه لتصحيح الأخطاء الموجودة في الإعلانات المثبتة فوق الجدران. منطلقا في كلامه من الخاص إلى العام؛ حيث استعمل أسلوب الإطناب في حديثه مع (ناجية)، مع أنّه كان يكفي القول (أنا على عكسك مغرم به)؛ أيّ (أنا أحب تصحيح الكراريس). تعمَّد (زعرور) الزيادة والتفصيل في الكلام؛ لأنّه يريد تنبيه ناجيّة إلى نشاطه، وحبه لعمله وهو الظّاهر من الكلام. بيد أنّ المضمر من كلامه هو استمالة (ناجية) الّتي يُكِّن لها مشاعر خفية يعجز عن التّصريح بها.

خاتمة:

في الختام نقدم جملة من النتائج الّتي توصلت إليها هذه الدّراسة:

– عرف البلاغيون العرب أهميّة التّواصل غير المباشر أوالضّمني،كونه يؤدي مقاصد المتكلم أفضل من التواصل المباشر في العديد من السّياقات.

– نستنتج أن مبدأ التّعاون والقواعد المتّفرعة عنه عند "غرايس" يمثلها في الدّرس البلاغيّ قصد المتكلم والقرائن المقاليّة والحاليّة بمعونة السّياق.

– أدرك البلاغيون صعوبة الوصول إلى المعنى المستلزم؛ لأنّ ضابطه عندهم هو القرائن والسّياق، وكلاهما مصطلح فضفاض على مستوى الاستعمال، مما يصعّب وضع قواعد تضبطه.

– كان الوعي بظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث البلاغيّ العربيّ واضحا جليّا؛ حيث يؤكد البلاغيون أنّ الدّلالة المستلزمة لا يمكن الوصول إليها دون خرق لأحد شروط إجراء المعنى على أصله.

– لمسنا إلتزام "أحمد رضا حوحو" بقاعدة الكم. رُغم أنّ الحوار في الأصل حوار مسرحي، الأنسب فيه هو الايجاز إلا أنّ المؤلف اعتمد على الزيادة والنّقصان، خارقا قاعدة الكم، حتّى يتوافق الحوار مع مقاصد المتكلمين والمقام. وبالتالي يكسب الحوار سمته الطبيعية.

الهوامش والإحالات:

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مادة (قرن)، ج5، ص76،77.

[2] محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدّين بن منظور، لسان العرب، وضع حواشيه: اليازجي وجماعة من اللغويين المعارف، دار صادر، ط3، بيروت، 1993، مادة (قرن)، ج13، ص339 .

http://shamela.ws/book

[3] عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ص46.

[4] علي بن محمد السّيد الشّريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2010، ص146.

[5] أبو يعقوب يوسف بن بوبكرالسكاكي، مفتاح العلوم، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1987 ،ص 16.

[6] ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002 ، ص32.

[7] ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص32،33.

[8] العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني،دار الأمان، الرباط ،منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،2011، ص18.

[9] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[10] ينظر، جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2016، ص21.

[11] ينظر، عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2003، ص101.

[12] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان،2004، ص96.

[13] ينظر، العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللساني، ص99،100.

[14] المرجع نفسه، ص100.

[15] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السّياب ،ط1، لندن ، 2012، ص88.

[16] السّكاكي، مفتاح العلوم، ص277.

[17] نور الهدى باديس، بلاغة الوفرة والنذرة، بلاغة الوفرة والنذرة مبحث في الإيجاز والإطناب،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، تونس، 2008، ص16.

[18] ينظر، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار ابن الجوزي، ط1 ، القاهرة، 2010، ص165،168 .

[19] أحمد رضا حوحو، المؤلفات الكاملة: المسرحية، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص429.

[20] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص137.

[21] أحمد رضا حوحو، المؤلفات الكاملة: المسرحية، ص449،450.

[22] أحمد رضا حوحو، المؤلفات الكاملة: المسرحية، ص500.

[23] عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز، ص131.

[24] أحمد رضا حوحو، المؤلفات الكاملة: المسرحية،ص461،462.

[25] المصدر نفسه، ص454، 456.

[26] المصدر نفسه، ص431.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد رضا حوحو، المؤلفات الكاملة: المسرحية، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
2. بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، ط1، لندن، 2012 .
3. جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2016.
4. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج5.
5. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، 2010.
6. علي بن محمد السّيد الشّريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2010.
7. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2003.
8. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2001.
9. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 2004.
10. محمدبن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدّين بن منظور، لسان العرب، وضع حواشيه: اليازجي وجماعة من اللغويين المعارف، دار صادر، ط3، بيروت، 1993، مادة (قرن)، ج13، ص339 .

http://shamela.ws/book

11. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002

12. نور الهدى باديس، بلاغة الوفرة والنذرة مبحث في الإيجاز والإطناب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، تونس،2008.

13. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2004.

14. أبو يعقوب يوسف ابن أبو بوبكر السّكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان ، 1987 .